الباب الثالث

في استحباب بشارة
مَنْ وُلد له ولد وتهنئته

قال الله تعالى في قصة إبراهيم [عليه السلام]: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ إلى قوله: ﴿يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾[1].

وقال تعالى في سورة الصافات: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾[2] وقال في الذاريات: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾[3] وقال في سورة الحجر: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾[5]. قال: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾[6] ولما كانت البشارة تسر العبد وتفرحه، استحب للمسلم أن يبادر إلى مسرة أخيه وإعلامه بما يفرحه.

---

(١) سورة هود، الآيات: ٦٩ ـ ٧٤.
(٢) سورة الصافات، الآية: ١٠١.
(٣) سورة الذاريات، الآية: ٢٨.
(٤) سورة الحجر، الآيات: ٥١ ـ ٥٦.
(٥) سورة مريم، الآية: ٧.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٣٩.

ولما ولد النبي عليه السلام بشرت به ثويبة[١] أبا لهب وكان مولاها، وقالت: قد ولد الليلة لعبد الله ابن، فأعتقها أبو لهب سروراً به، فلم يضيع الله ذلك له، وسقاه بعد موته في النقرة التي في أصل إبهامه، فإن فاتته البشارة استحب له تهنئته، والفرق بينهما أن البشارة إعلام له بما يسره، والتهنئة دعاء له بالخير فيه بعد أن علم به.

ولهذا لما أنزل الله توبة كعب[٢] بن مالك وصاحبيه ذهب إليه البشير، فبشّره، فلما دخل المسجد جاء الناس فهنأوه، وكانت الجاهلية يقولون في تهنئتهم بالنكاح، «بالرفاء والبنين»، والرفاء: الالتحام والاتفاق، أي: تزوجت زواجاً يحصل به الاتفاق والالتحام بينكما، [وتحيطكم المسرة والبنون]، فيهنئون سلفاً وتعجيلاً. ولا ينبغي للرجل أن يهنىء بالابن ولا يهنىء بالبنت، بل يهنىء بهما أو يترك التهنئة بهما ليتخلّص من سيئة الجاهلية، فإنّ كثيراً منهم كانوا يهنئون بالابن وبوفاة البنت دون ولادتها. وقال أبو بكر[٣] بن المنذر في «الأوسط»: روينا عن الحسن البصري: أنّ رجلاً جاء إليه، وعنده رجل قد ولد له غلام، فقال له: يهنئك الفارس، فقال له الحسن: ما يدريك فارس هو أم حمار، قال: فكيف نقول؟ قال: قل: بورك في الموهوبِ، وشكرتَ الواهبَ، وبلغَ أشدّهُ، ورُزِقْتَ[٤] بِرَّهُ، والله أعلم.

---

(١) ثويبة: أول مرضعة للنبي ﷺ، كانت جارية أبي لهب. معجم الأعلام (١٥٨).
وهذه العتيقة الفاضلة، عتيقة أبي لهب، حين بشرته بولادة النبي ﷺ، ولأجل ذلك فالله يخفف عنه كل يوم اثنين - أو ليلته - ويمص من بين أصبعه ماءً، بإعتاقه ثويبة، رضي الله عنها، وتركها مرضعة له ﷺ، انظر: الأنوار، شرح المواهب (٢٨). وفي البخاري (٦/ ١٩٥)، (قال عروة: ثويبة أعتقها أبو لهب).

(٢) كعب بن مالك: (ت ٥٠هـ)؛ هو الأنصاري الخزرجي، صحابي من أكابر الشعراء، وكان ممن تخلف مع صاحبيه عن غزوة تبوك وهما (هلال بن أمية)، و(مرارة بن الربيع)، فنزل فيهم قوله تعالى: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا...﴾ [التوبة: ١١٨] ثم تاب الله عليهم، لصدقهم فيما قالوه، فهنأه الناس قائلين له: (ليهنك توبة الله عليك)، وقام إلى كعب طلحة بن عبيد الله فحياه وهنأه. انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ١٣١).

(٣) أبو بكر، ابن المنذر، هو: محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت ٣١٩هـ) فقيه، مجتهد، شيخ الحرم بمكة. معجم الأعلام (٦٥٦).
الأوسط: هو كتاب (الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف) في (١٥) مجلداً. هدية العارفين (٦/ ٣١).

(٤) بالبناء على المفعولية. والأثر وارد.